# مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذى استطعت بتوفيقه إنجاز تلك الدراسات التى يتضمنها هذا الكتاب الذى بين أيدينا كى أقدمه إلى الباحثين والطلاب والمهتمين بهذا المجال كاتجاه حديث يستخدم لأول مرة فى البيئة العربية فى سبيل تربية وتأهيل الأطفال المتخلفين عقلياً وتعديل سلوكهم حتى أقدمها كإسهام من جانبنا فى فتح سبل جديدة أمام الباحثين والدارسين فى هذا الميدان الخصب حتى يمكن أن يدلو كل منهم بدلوه فيه.. والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلق الله الذى أخبرنا بأن خيرنا من تعلم العلم وعلمه.. صلاة وسلاماً إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه وسلم..

**وبعد..**

يعد تعديل السلوك من الأمور شديدة الأهمية فى مجال التربية الخاصة على وجه العموم إذ أن الجهود التى يتم بذلها مع الأطفال من تلك الفئات التى تعرف بذوى الاحتياجات الخاصة تعتمد فى أساسها على تعديل سلوكهم وذلك من خلال إكسابهم مهارات معينة مرغوبة تساعدهم على أن يأتوا بالسلوكيات المناسبة فى المواقف المختلفة، أو الحد من سلوكيات غير مناسبة تصدر عنهم فى مختلف المواقف ويعرف تعديل السلوك behavior modification بأنه أى إجراء يمكن اللجوء إليه فى سبيل الحد من مشكلات السلوك عامة. وجدير بالذكر أن البعض يقصرون هذا المصطلح على العلاج السلوكى فقط حيث يرون أنه يمكنهم عن طريق اتباع الفنيات السلوكية دون غيرها أن يحققوا هدفهم المنشود فى هذا السبيل، ويقدمون فى سبيل ذلك أربعة نماذج أساسية للتعلم تمثل أسس العلاج

السلوكى يأتى في مقدمتها نموذج الاشتراط البسيط أو الاشتراط الاستجابى الذى يضم الاشتراط الكلاسيكى الذى يعتمد فى جوهره على التعديل أو التغيير فى المثير حتى يحدث التعديل بالتالى فى الاستجابة، ويضم إلى جانبه نموذج بافلوف Pavlov الذى يقوم على الاقتران الشرطى والذى يتحدد فى ضوئه اكتساب السلوكيات المرغوبة أو غير المرغوبة من خلال إقتران مثير شرطى أو محايد بمثير طبيعى لعدد من المرات، ومن ثم يرون أن تعديل السلوك من هذا المنطلق يمكن أن يتم عن طريق إلغاء ذلك الإقتران مما يسبب كف للإستجابة غير المرغوبة. أما النموذج الثانى فيتمثل فى الاشتراط الإجرائى والذى يعتمد تعديل السلوك من خلاله على تغيير المدعمات التى يتم اللجوء إليها بحيث يمكن استخدام مدعمات ذات أثر كبير على الطفل وعلى ما يصدر عنه من سلوكيات مختلفة. بينما يتمثل النموذج الثالث فى التعلم بالملاحظة وهو ذلك النموذج الذى يعتمد على النمذجة modeling بصفة أساسية سواء تم فى سبيل ذلك استخدام نماذج حية أو نماذج رمزية. ويعتبر البعض أن النمذجة لها دور أساسى فى تعديل السلوك، ولذلك نجدهم يلجأون إلى النمذجة كفنية أساسية فى مختلف البرامج الإرشادية أو العلاجية التى يتم استخدامها فى هذا الصدد بحيث تتم نمذجة السلوك المرغوب للطفل قبل أن يقوم هو به، ويتم بعد ذلك تدريبه على القيام بهذا السلوك بنفسه وإن تمت تجزئته له حتى يتسنى له أن يؤديه بالقدر المناسب والمطلوب. ويتمثل النموذج الرابع فى التنظيم الذاتى وهو ذلك النموذج الذى يعتمد على تغيير سلوك الفرد من جانبه. ومن ثم فإن مثل هذا النموذج يعتمد على فنيات أساسية يأتى فى مقدمتها الملاحظة الذاتية، وتخطيط البيئة، وتغيير البيئة وإعادة تنظيمها، والبرمجة السلوكية التى تؤدى إلى حدوث تغيير فى النواتج.

هذا وتتعدد الفنيات السلوكية التى يمكن استخدامها فى هذا الصدد، ويأتى فى مقدمتها الإشراط المضاد، وإزالة الحساسية، والتدريب على الإسترخاء، والتعريض المتدرج، والنمذجة، والتدعيم، والعقاب سواء الإيجابى أو السلبى

(ثمن الاستجابة والإبعاد المؤقت)، وتكاليف الاستجابه، وتدعيم السلوك الإيجابى Positive behavior support وتأكيد الذات الذى يتم عن طريق التدريب على المهارات الاجتماعية والتدريب على توكيد الذات ولعب الدور. وقد أثبتت نتائج العديد من الدراسات التى تم إجراؤها فى هذا الإطار أن مثل هذه الفنيات يمكن أن تؤدى إلى حدوث نتائج إيجابية عديدة حيث تلعب دورًا أساسيًا فى تعديل السلوك للأطفال من هذه الفئات.

إلا أن الكثيرين يرون أن تعديل السلوك ليس حكرًا على المدرسة السلوكية فحسب أو الاتجاه السلوكى منفردًا، بل إن المصطلح فى حد ذاته يحدد أن تعديل السلوك ـ كما أسلفنا ـ هو أى إجراء يمكن اللجوء إليه فى سبيل الحد من مشكلات السلوك. ولما كان مصطلح «أى إجراء» هو الأساس فى هذا السبيل، وأن المهم هو أن يتم الحد من مشكلات السلوك فقد ظهرت إتجاهات أخرى عديدة تعمل على تحقيق نفس هذه الأهداف ومنها على سبيل المثال الاتجاه المعرفى السلوكى Cognitive behavior attitude وخاصة اتجاه إليس Ellis والذى يعتمد على وجود حدث منشط (A) يعقبه اعتقاد (B) حول هذا الحدث المنشط هو الذى يؤدى إلى حدوث النتائج (C) بمعنى أن الاعتقاد حول الحدث المنشط أو المثير وليس المثير فى حد ذاته هو الذى يؤدى إلى حدوث النتائج أو الاستجابة. وقد قام كل من داجنان وشادويك (١٩٩٧) Dagnan & Chadwick من خلال إتباع تلك الخطوات التى بدأها تراور وآخرون (١٩٨٨) Trower et. al بعمل نموذج مبسط من ذلك النموذج الأصلى ABC الذى قدمه إليس Ellis يمكن استخدامه مع الأطفال المتخلفين عقليًا. وقد حصلوا على نتائج إيجابية تدعم استخدام نموذجهم هذا فى سبيل تعديل سلوك هؤلاء الأطفال. ولكننا نؤكد أن استخدام مثل هذا النموذج مع هؤلاء الأطفال مازال يحتاج إلى مزيد من الدراسات لإثبات جدواه معهم حيث لا يزال يكتنفه العديد من الصعوبات نظرًا لأنه يعتمد بدرجة كبيرة على الجانب المعرفى الذى يمثل جانبًا أساسيًا من جوانب القصور لدى هؤلاء الأطفال. ومع ذلك فإن التعليم الذاتى من خلال ما يعرف

بالحوار الذاتى وهو الأسلوب الذى قدمه ميتشنبوم Meichenbaum يستخدم معهم بشكل ناجح.

ومن ناحية أخرى يعد الإرشاد الأسرى Family counseling الذى يتم تقديمه لأسر هؤلاء الأطفال سواء تم تقديمه لأفراد الأسرة جميعًا، أو لبعضهم فقط دون البعض الآخر، أو لكلا الوالدين أو حتى لأحدهما فقط، أو لأى عضو آخر فى أسرة هؤلاء الأطفال على درجة كبيرة من الأهمية فى هذا الصدد حيث تعتبر الأسرة هى الأقدر على التفاعل الصحيح مع هؤلاء الأطفال، وعلى تعليمهم بعض المهارات المطلوبة، وإكسابهم سلوكيات مرغوبة، أو الحد من سلوكيات أخرى غير مرغوبة تصدر عن مثل هؤلاء الأطفال. وسواء تم استخدام الإرشاد الأسرى كنموذج مستقل فى سبيل ذلك، أو تم استخدامه إلى جانب نموذج إرشادى أو علاجى آخر فإن الدراسات التى استخدمت ذلك الأسلوب بشكل مستقل أو بشكل متزامن مع غيره من الأساليب قد كشفت عن حدوث نتائج إيجابية هى الأخرى وذلك بدرجة تدعو إلى استخدام الإرشاد الأسرى بشكل أساسى وعدم تجنبه حيث تمثل الأسرة أحد أضلاع مثلث فى هذا الصدد وإن كنا ننظر إليها على أنها ليست كأى ضلع آخر فيه، بل هى تعد بمثابة ضلع أساسى مع المدرسة التى تمثل الضلع الثانى ثم الطفل الذى يمثل ثالث هذه الأضلاع وآخرها. وبالتالى فإن أى محاولة لتعديل سلوك الطفل لا يجب بالضرورة أن تتم بعيدًا عن المشاركة الأسرية الفاعلة إذ أن مشاركة الأسرة أو حتى أحد أعضائها فى سبيل تحقيق ذلك يسهل من حدوث التغيير المطلوب وييسره. وقد قمنا نحن فى الدراستين الأولى والرابعة من تلك الدراسات التى يعرض لها هذا الكتاب باللجوء إلى هذا الأسلوب بجانب الأسلوب الأساسى موضوع الكتاب.

وإضافة إلى ذلك فإنه يمكن استخدام العلاج باللعب Play therapy مع هؤلاء الأطفال سواء تم ذلك بشكل فردى أو بشكل جماعى. ويعتمد ذلك على تلك المشكلات التى يعانى الطفل منها حيث أنها إذا كانت ترتبط بالتكيف فإنه يفضل استخدام النمط الجمعى، بينما إذا كانت تلك المشكلات من النوع الذى يرتبط

بالاضطراب الانفعالى فإنه يصبح من الأفضل استخدام النمط الفردى بشرط أن تتوفر للعلاج باللعب فى كلتا الحالتين غرفة تحتوى على أنواع وأشكال مختلفة من الألعاب وأدوات اللعب غير القابلة للكسر حتى لايؤذى الطفل بها نفسه أو غيره. كذلك يمكن استخدام السيكودراما Psychodrama كأسلوب أساسى للعلاج فى هذا الصدد حيث تعطى خلاله الفرصة للطفل لتفريغ شحناته الانفعالية المكبوتة من خلال تعبيره عن انفعالاته ورغباته المكبوتة بشكل حر عن طريق لعب الدور وعكس الدور مما يعمل بصفة أساسية على التنفيس عن تلك الشحنات إلى جانب العمل على تعديل السلوك بالشكل الذى يشار إليه كهدف رئيسى فى هذا الجانب.

وتعتبر جداول النشاط المصورة Picture activity Schedules هى إحدى أحدث الإستراتيجيات التى يمكن استخدامها مع هؤلاء الأطفال فى سبيل الوصول إلى تعديل السلوك من خلال إكسابهم مهارات معينة، أو تنميتها، أو تدريبهم على سلوكيات مرغوبة أو الحد من سلوكيات أخرى غير مرغوبة. وتعد تلك الجداول بمثابة مجموعة من الصور تعطى الإشارة للطفل المتخلف عقليًا أو الطفل التوحدى بالانغماس فى أنشطة متتابعة أو تتابع معين للأنشطة. ويعتمد الجدول على تقسيم المهمة المقدمة إلى وحدات صغيرة يتم تدريب الطفل عليها بشكل مستقل إلى أن يتقنها فيتم تدريبه على أدائها كاملة وذلك من خلال التوجيه اليدوى المتدرج حتى ينتهى منها بالشكل المطلوب. وتتبع جداول النشاط المصورة الاتجاه الإنمائى developmental approach فى تعليم الأطفال المتخلفين عقليًا وهو الاتجاه الذى يعتمد على تنظيم وترتيب بيئة التعلم، وتقديم الأنشطة التى تتفق مع مهارات الأطفال واهتماماتهم واحتياجاتهم الخاصة وذلك بعد أن تتم ملاحظة الطفل بشكل دقيق، وتحديد تلك الأنشطة التى يجيد أداءها والمهارات التى يتمتع بها. وتعتمد تلك الجداول فى تصميمها على مستويات ملائمة من الإثارة ولكنها فى ذات الوقت لاتبتعد عن مبادئ الاتجاه السلوكى فى التعلم والذى يعتمد على الإثابة والمكافأة، وتكرار التدريب، وتكرار التتابع، وإشراك الطفل فى مواقف الحياة الفعلية، والنمذجة. وبذلك يتم فى الأساس استخدام الفنيات السلوكية مع

مثل هذه الجداول حتى نصل بالطفل إلى مستوى المهارات المطلوبة، أو يتم تعليمه السلوك المرغوب، أو الحد من تلك السلوكيات غير المرغوبة.

هذا وقد تم تقديم تلك الجداول فى الأساس للأطفال التوحديين، ولكننا استخدمناها إلى جانب ذلك مع الأطفال المتخلفين عقليًا وذلك فى سبيل تنمية مهارات معينة لديهم، أو إكسابهم سلوك مرغوب، أو الحد من سلوكيات غير مرغوبة تصدر عنهم. وتتمثل الأهداف الأساسية لتلك الجداول فى تعليم هؤلاء الأطفال السلوك الإستقلالى، وإتاحة مجال أوسع للاختيار أمامهم، وتعليمهم التفاعل الاجتماعى وتدريبهم عليه مما يساعدهم على الاندماج مع الآخرين ومن ثم الانخراط فى المجتمع. وهناك شروط معينة لتصميم تلك الجداول واختيار ما تتضمنه من صور تعكس الأنشطة المستهدفة، إلى جانب تدريب الأطفال على تلك المهارات اللازمة لأداء هذه الجداول والتى تتمثل فى التعرف على الصورة وتمييزها عن الخلفية، والتعرف على الأشياء المتشابهة وتمييزها، وإدراك التطابق بين الصورة والموضوع أو الشىء. وإلى جانب ذلك يتم تدريبهم على مكونات الأنشطة بشكل جيد والتى تتمثل فى الإمساك بالجدول وقلب الصفحة والوصول إلى الصورة المستهدفة، ثم الإشارة إليها والتعرف على ما بها من أدوات وما تعكسه من نشاط، وإحضار الأدوات المطلوبة، وأداء النشاط المستهدف، ثم إعادة الأدوات إلى مكانها الأصلى الذى تم أخذها منه. ويتم استمرار تدريب الأطفال على تلك المكونات بعد إجادتهم لها على أن يتم إعادة ترتيب الصور والأنشطة المتضمنة واستبدال بعضها بصور وأنشطة أخرى جديدة. ويتم بعد ذلك تقييم أداء الطفل على تلك الجداول وذلك من خلال الملاحظة المباشرة وتقرير الوالد أو المعلم. وعندما يتمكن الطفل فى النهاية من أداء جدول النشاط المصور من تلقاء نفسه أى أداء تلك الأنشطة التى يتضمنها من خلال إلتزامه بمكونات النشاط وذلك دون أن يحصل على أن مساعدة من قبل أحد الراشدين فإن ذلك يمكن أن ينعكس إيجابًا على تلك المواقف الحياتية الفعلية سواء المواقف المنزلية أو المدرسية التى يتعرض لها مما يجعله أكثر تفاعلاً

مع الآخرين واندماجًا معهم وهو الأمر الذى يؤثر إيجابًا على سلوكه التكيفى بأبعاده المختلفة.

ويتألف الكتاب الذى بين أيدينا من خمسة فصول نتناول فى كل منها إحدى الدراسات التى قمنا بإجرائها مستخدمين جداول النشاط المصورة فى سبيل تعديل جانب من سلوكيات الأطفال المتخلفين عقليًا. وفى هذا الإطار يعرض الفصل الأول لاستخدام هذه الجداول إلى جانب الإرشاد الأسرى فى سبيل تحسين مستوى التفاعلات الاجتماعية لهؤلاء الأطفال. ويعرض الفصل الثانى لفعالية تدريب الأطفال المتخلفين عقليًا على استخدام تلك الجداول بغرض الحد من سلوكهم العدوانى. أما الفصل الثالث فيتناول استخدام مثل هذه الجداول بهدف الحد من أعراض اضطراب الانتباه من جانب مثل هؤلاء الأطفال. فى حين يعرض الفصل الرابع لاستخدام تلك الجداول وإرشاد الأمهات لمتابعة تدريب أطفالهن المتخلفين عقليًا عليها فى سبيل الحد من نشاطهم الحركى المفرط، أما الفصل الخامس فيعرض لاستخدام تلك الجداول بغرض تحسين الانتباه للأطفال المتخلفين عقليًا، وتم فى هذه الدراسة استخدام برنامج كمبيوتر لقياس مدى التحسن فى الانتباه لدى هؤلاء الأطفال من خلال التعرف على متغيرات ثلاثة هى زمن الرجع، ومدى الانتباه، ومعدل الاحتفاظ بالانتباه. ولا يخفى علينا أن هؤلاء الأطفال يعانون من ضعف انتباههم، وقد يصل البعض منهم إلى حد اضطراب الانتباه وهو ما عرضنا له فى الفصل الثالث، فى حين قد لا يصل البعض الآخر إلى ذلك الحد ويصبح الأمر مجرد ضعف فى الانتباه فقط ولكنه لم يرق إلى حد الاضطراب، وهو ما عرضنا له فى الفصل الخامس.

وأخيرًا.. أسأل الله أن أكون بهذا الكتاب قد أضفت جديدًا إلى المكتبة العربية فى علم النفس والصحة النفسية بوجه عام، وفى مجال التربية الخاصة على وجه

الخصوص، وأن أسهم بهذا الكتاب فى تمهيد الطريق أمام الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات مستخدمين هذا الاتجاه فى سبيل تعديل سلوك الأطفال المتخلفين عقليًا بما يتيح لهؤلاء الأطفال الفرصة كى يتفاعلوا مع أقرانهم ومع الآخرين عامة وذلك بشكل مقبول يساعدهم على الاندماج معهم والانخراط بالتالى فى المجتمع.

**والله ولى التوفيق.**

**أ.د/ عادل عبد الله محمد**